الأمن الغذائي من منظور إسلامي

د. عبد الرزاق قبا خليل

لاشكَّ أنَّ موضوعَ الغذاء والأمن الغذائي أصبحَ موضوعَ الساعة، في ظلِّ ما تشهدهُ البلادُ العربيةُ عمومًا والإسلاميةَ خصوصًا، وما يشهدهُ بلدنا الحبيب في ظلِّ الحرب الظالمة والحصار الخانق الجائر، ومفرزاتهما، والتي ألقت بظلالها على جميع مناحي الحياة وَخصوصًا الناحية الاقتصادية.

أعلن المكتب المركزي للإحصاء في آخر إحصائية في نهاية ٢٠١٨، نتائج مسح الأمن الغذائي عن العام ٢٠١٧، وفيه أن نسبة ٢٣.٤٪ من السوريين يُصنفون في خانة الآمن غذائيًا، و ٤٥.٦٪ في خانة "مُعرض هامشيًا" لانعدام الأمن الغذائي، و ٣١٪ غير آمن غذائيًا. ووفقًا لتقديرات البرنامج؛ يُعاني حاليًا نحو ٩.٣ مليون سوري من انعدام الأمن الغذائي؛ بزيادة قدرها ١.٤ مليون شخص خلال الستة أشهر الماضية فقط.

وسأتعرض بشكل مقتضب، لمفهوم الأمن الغذائي من منظور إسلامي، والحلول المتاحة.

أولاً: تعريف الأمن الغذائي

هناك تعاريف متعددة لمسألة الأمن الغذائي، وكلها تصب في نفس المعنى ولعل أقربها ما نص عليه التقرير النهائي لمؤتمر القمة العالمي للأغذية لعام ١٩٩٦ أن الأمن الغذائي "يوجد حين يتمكن جميع الافراد في كل زمان من الحصول علي الغذاء الكافي ماديًا واقتصاديًا، طعام آمن ومُغذي لتلبية احتياجاتهم الغذائية ولتوفير طعامهم".

ثانيًا: الأمن الغذائي في الإسلام

لقد اختار الله تعالى الدين الإسلامي ليكون دينًا للبشرية جمعاء إلى قيام الساعة، فأودع فيه عناصر الشمول والمرونة والتجدد الذاتي، فغدا قادراً على إيجاد الحلول المناسبة لجميع الإشكالات التي تظهر في العالم، ولا تظهر هذه المشاكل إلا نتيجة سوء أفعال الإنسان وانحرافه عن جادة الصواب ومنهج المُشرِّع جل جلاله، ومن هذا المنطلق فإن الشريعة الإسلامية قدمت للبشرية أسسًا لتحقيق الأمن الغذائي، هي نصوص

مباركة من القرآن العظيم، وسُنة نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فالقرآن العظيم أشار في آيات عدة إلى الطعام وأهميته للإنسان.

قال تعالى في كتابه العزيز: **الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**(قريش: ٤)؛ فرغد الرزق والأمن من المخاوف، من أكبر النعم الدنيوية، الموجبة لشكر الله تعالى.

وقال تعالى: **الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ** (الشعراء: ٧٨ –٧٩).

وقال تعالى: **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** (الإنسان: ٨)، وقوله: **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ**؛ أي: وهم في حال يحبون فيها المال والطعام، لكنهم قدموا محبة الله على محبة نفوسهم، ويتحرون في إطعامهم أولى الناس وأحوجهم؛ **مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**.

وقد سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى كل المنظمات في تعريف الأمن الغذائي، في حديث شامل جامع حيث قَالَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا**.

فالأمن الغذائي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالأمن العام، والأمن الصحي، والمجتمع الخائف، الجائع، المريض، لن تقوم له قائمة. ومن هنا حثَّ ديننا الحنيف على تعهد الفقراء والبذل والعطاء في سبيل الله.

عن عبدِاللَّهِ بنِ سَلَامٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ[1]: **أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيامٌ، تَدخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**.

حتَّى أنه عدَّ عدم إكتراث الإنسان المؤمن لجيرانه، وتفقدهم وتفقد أحوالهم، من نواقض الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]: **ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به**.

وهذا دليلٌ على ضرورة تفعيل التكافل الاجتماعي في جميع الأوقات، وخصوصًا عند اشتداد المصائب والمحن.

[1] رواهُ الترمذيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.
[2] قال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني والبزار، وإسناد البزار حسن.

وبالعودة لكتاب الله عز وجلَّ كمنهجِ حياة، نجدُ في قصة سيدنا يوسف عليه السلام وتعامله مع سنيِّ القحط التَّي مرت بالبلاد خيرٌ دليلٍ، على مفهوم الأمن الغذائي، وسبل تحقيقه، فإذا قرأنا القصة بعين المتأمل وبمنهاج التحليل العلمي الموضوعي نجد أن سيدنا يوسف عليه السلام انتهج في حلِّ الأزمة منهجًا علميًا اعتمد على ركائز أربع.

– الركيزة الأولى (الاستشراف) : حيث استشرف سيدنا يوسف عليه السلام حجم وطبيعة المشكلة حينما علمَ تأويل الرؤيا بفضل الله ومنته قال تعالى : **وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون** (يوسف : ٤٣) .

فاستشراف المشكلة قبل وقوعها يختصر الكثيرَ من الوقت والجهد ، ويسهل عملية التخطيط والاستعداد لمواجهة الحالات الطارئة .وهنا تكمن أهمية وجود معاهد للأبحاث والدراسة الاستراتيجية مهمتها تحليل المعطيات واستشراف المستقبل ورسم الخطوط العريضة لمواجهة أي حالة طارئة عند وقوعها .

– الركيزة الثانية (التخطيط الاستراتيجي) : قال تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام : **قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون* ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون* ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون** (يوسف : ٤٧ – ٤٨ – ٤٩) .

وهنا تكمن أهمية التخطيط الاستراتيجي بعد استشراف المستقبل؛ ويكون التخطيط ممنهجًا ضمن إطار زمني متسلسل، على أن يتم التنفيذ بالشكل الدقيق والأمثل والمستمر، فدأبًا تعني المثابرة والاجتهاد مع كفاءة إدارة الموارد . قال :

- **تزرعون سبع سنين دأبا،**
- **فذروه في سنبله،**
- **إلا قليلا مما تأكلون.**

وهنا تبرز أهمية إدارة الموارد ومحاربة الهدر بكافة أشكاله، وإن كان الإسراف من الأمور التي نهانا عنها الشرع زمن الرخاء فمن باب أولى أن يكون النهي أشداً في زمان القحط والمجاعات.

يَا بَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ (الأعراف: ٣١)؛ والحفاظ على المخزون الاستراتيجي ودعمه تحت أصعب الظروف.

إلا قليلا مما تحصنون (يوسف: ٤٨)؛ أي ثم يأتي بعد هذه السنين الخِصْبة سبع سنين شديدة الجَدْب، يأكل أهلها كل ما ادَّخرتم لهن من قبل، إلا قليلا مما تحفظونه وتدَّخرونه ليكون بذوراً للزراعة.

– الركيزة الثالثة: (حُسنُ إدارةِ الموارد): قال تعالى على لسان سيدنا يوسف: **قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ** (يوسف: ٥٥)؛ فلا تكفي الأمانة لإدارة الموارد، بل يجب أن يتضافر معها العلم في كيفية إدارة هذه الموارد على النحو الأمثل.

إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ؛ أي: حفيظ للذي أتولاه، فلا يضيع منه شيء في غير محله، وضابط للداخل والخارج، عليم بكيفية التدبير والإعطاء والمنع، والتصرف في جميع أنواع التصرفات، وليس ذلك حرصا من يوسف على الولاية، وإنما هو رغبة منه في النفع العام، وقد عرف من نفسه من الكفاءة والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه؛ فلذلك طلب من الملك أن يجعله على خزائن الأرض، فجعله الملك على خزائن الأرض وولاه إياها.

– الركيزة الرابعة (العمل على تحقيق الاكتفاء الذاتي): فقد حبانا الله أرضًا معطاء، ومناخًا أمثل، ولاشك أن من يمتلك أمنه الغذائي، فهو يمتلك القوة وحرية القرار.

وفي السياسة الدولية، تُعد القوة الغذائية وهي استخدام الزراعة كوسيلة للسيطرة السياسية، عن طريقها تقوم دولة أو مجموعة من الدول بتقديم أو منع سلع من دولة أخرى أو مجموعة من الدول لكى تتمكن من التلاعب بسلوكها. وقد لوحظ أنه يمكن استخدامها كسلاح محتمل بعد استخدام أوبك في وقت سابق للنفط كسلاح سياسي. الطعام له تأثير كبير على التصرفات السياسية لأي أمة. وكاستجابة لتأثير القوة الغذائية، فإن الدولة عادةً ما تتصرف لصالح مواطنيها، لتوفير الطعام. وليس ببعيد عنا ما فعلته الدول من استخدامها للغذاء كسلاح في سبيل تركيع الشعوب فبرزت عبارات مثل: (النفط مقابل

الغذاء) و (الغذاء مقابل السلام) . ولنا مما حدث ويحدث في العراق والسودان والصومال واليمن وسوريا وغيرها من الدول العربية والإسلامية أمثلة واقعية قريبة العهد .

وصدق جبران خليل جبران حين قال : ويل لأمة تأكل مما لاتزرع وتلبس مما لا تصنع .

أخيراً؛ لابدمن تضافر جميع الجهود بين الدولة والأفراد في سبيل تحقيق الأمن الغذائي .

وكما أسلفت سابقا فقد حضَّ شرعنا الكريم على أهمية التكافل الاجتماعي وتحقيق العدالة الاجتماعية ولذلك نجد أن الشارع الكريم قد فرض أداء أغلب كفارات الذنوب على شكل إطعام المساكين والمحتاجين فمن نعم الله علينا أن جعل الدين كاملاً حيث شرع الشرائع وأنزل الأحكام ووضع لكل شيء مسألته وحكمه، ومن ذلك الكفارات التي يستوجب أداؤها حين الوقوع في مخالفات فقهية تكون زاجراً ورادعًا عن تكرارها، وأمرًا تعبديًا لله سبحانه يُكفّر بها هذه المخالفة الشرعية، وأورد هنا بعض تلك الكفارات؛ ككفارة اليمين والنذر والظهار والإيلاء والإفطار والصيد للمحرم وغيرها من الكفارات كما حثَّ شرعنا الحنيف،من خلال القرآن الكريم، والسنة النبويَّة المطهَّرة في أكثر من موضع على فضل الإطعام للمساكين، والفقراء، وإخراج زكاة الأموال، وصولاً لتحقيق العدالة الاجتماعية . ومن ضمنها تحقيق الأمن الغذائي .

ويمكن تلخيص ما سبق بشكل موجز في خطوط رئيسة عامة لتحقيق الأمن الغذائي :

– أولاً : المهام التي تقع على عاتق الدولة :

١ . الاستشراف الواقعي والدقيق للمستقبل من خلال تحليل معطيات الحاضر .

٢ . التخطيط الموضوعي والواقعي لمواجهة الحالات الطارئة .

٣ . تنفيذ الخطط من خلال إدارة المواد بالشكل الأمثل واستنفار جميع الجهود الممكنة .

٤ . العمل على تحقيق الاكتفاء الذاتي في المدى المنظور وبذل جميع الإمكانات المتاحة لتحقيق هذه الغاية .

– ثانيًا : المهام التي تقع على عاتق الأفراد انطلاقًا من التوجيهات الشرعية :

١ . التكافل الاجتماعي

٢ . المساعدة في إدارة الموارد؛ من خلال المقولة (المال ملكك ولكن الموارد ملك للجميع) فلا إسراف ولا تبذير .

٣ . شكرُ الله على النعم ولا يكون الشكر باللسان فقط بل بالحفاظ على هذه النعم .

٤ . الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والاعتصام بحبله المتين ونبذ الكره والحقد والبغضاء والعمل على نشر رسالة الإسلام رسالة المحبة والسلام الأمن والأمان بالأفعال لا بالأقوال وصولاً إلى : **الجسد الواحد الذي إذا أشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** .

المراجع

- القرآن الكريم .
- كتب السنة النبوية .
- تفاسير القرآن .
- وكيبيديا .
- مقالات متعددة حول مفهوم الأمن الغذائي .